اغنية الى «زيتون»

[«اخي العزيز ... تركتُ الجزائر منذ شهر ، وها انا اكتب اليك من باريس، مدينة النور والديجور والفجور . سبق ان اخبرتك عن استشهاد اخي «زيتون» الفتى ، او زيتونة الوادي كما تسميه أمي. لقد رجم الفرنسيون قبر ابيه بالقنابل في هجوم عام على قريتنا . كانت رفيقتي الفرنسية الشابة احدى المشيعات في حفلة الدفن . فاين أنت من فاجعتي ؟ اين انت من وفاء هذه الاجنبية، اين انت من زيتون؟ اع

ركزنا البنادق فوق الرمال
ورحنا نغيّبُ في الارض حفره
وملنا الى الشمس كي لا تغيب
ليلقى سناها لآخر مره
وأبطأت السحب المسرعات
وألقين فوق الثرى شبه نظره
وسرنا نحدق مستشرفين
اعالي الذرى، ماوراء المجره
وكدنا نجمّد ضوءَ النجوم
نكلل من جمّد الضوء قبره
ومن خلفنا جثمت امه
تعانق صدره
وتلثم ثغره
وتنهض مفزعة ، كي تعود
تسيل على اللحد في كل ذره
أيصلب في كل يوم مسيح
لتحيا الى ابد الدهر فكره ؟
... واحسستُ وقع خطاك البطاء
ترنّ على الارض في كل نبره
تقولين « يا أم من تندبين
ومن تبتغين ، ومن تطلبين ؟
دعيه وحيداً بلا شاهد
ستكتشف الريح في الليل سره»
فمن رغوات الصباح الجميل
سيُسرج « زيتون » بيضَ الخيول
ليسرح بين ظلال النخيل
ويلعب فوق نهود التلول
وزيتون ... زنبقة من لهيب
واسطورة في حديث الصغار
سيروون « كان صبياً غريب
وقد خطفته سُعالى القفار »
لنا الفجرُ ، والامل المستطاب
نكابد مره
ونربح مره .
وحين أهلنا عليه التراب
ولفع ليل الضحايا مقره
رأينا الى شعلة تستحيل
على كل جرح عصيناه جمره
.. وحين اطل الظلام العميق
ورصع في هيكل الليل دره
درجنا نكفكف من دمعنا
ونمسح عن مقلة القلب حسره
ولوّحت لي : « كل يوم شهيد
فهلا تركت لآخر قطره ؟ »
همست ، فاينع شيء نضير
ولاحت على جبهة الافق خضره
فأومأت لي « أيجيء الربيع
اتزهر بذره
اتورق زهرة ؟
— : اجل ، وستسطع شمس الشعوب
كعينيك — من كوة مستسره
ستحيين حره
ستحيين حره
فالقاك تحت سماء الخيال
تلوحين ، غب رحيلي، فكره
والقاك اغنية للصحاب
ستبقى على شفتي مستمره

بغداد — كاظم جواد